غياب المنهج في التفسير المذهبي للتاريخ

■■ من الملاحظ أن بعض الأمم التي ليس لها تاريخ تحاول أن تصنع لنفسها تاريخًا تُنَشِّىء عليه أجيالها ، وبعضها الآخر يفرد كل واحد من عظمائه وقادته وعلمائه بتاريخ خاصّ ، لأن ذلك أبقى لذكرهم ، وأظهر لشهرتهم ، وأقرب لتناول أخبارهم ليكونوا أسوة طيبة للاقتداء بهم ، والاعتبار بجليل أعمالهم ، وللوقوف على مواضع الصواب ومظانّ الخطأ في تصرفاتهم ، والأخذ من ذلك كله بما يصلح ويفيد ، والابتعاد عما يُستنكر ويستشنع ..

فكيف بنا ، نحن المسلمين ، ولدينا جيل الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، جيل القدوة الحقة ، وحملة الوحي الإلهي إلى الناس ، الجيل الذي استعلى على الجاهلية بقيمها وتصوراتها وما تعارفت عليه وتواضعت ، وتحمَّل في سبيل دعوة الله تعالى ما تحمَّل من عنت ومشقة وترك الأهل والولد ، وبذل ما بذل من تضحيات كثيرة وجهود كبيرة ، الجيل الذي كبرت نفوس أفراده عن أن تخلد إلى الصغائر والدنايا وسفساف الأمور ، أو أن ترضى بالحقير التافه من الشهوات والأهواء والملاذ ، فطمحت بهم إلى عظائم الأمور ومعاليها ، وانصرفت بهممهم نحو غايات الكمال والفضائل ، فنالوا بهذا حياة لا تفنى ، وتركوا في الوجود آثاراً لن تزول .. ومن حق الأجيال المسلمة أن تعرفهم على حقيقتهم ، أنقياء أطهارًا صادقين ، فتطمئن نفوسهم إلى الخير الذي حملوه وأدوه إلى البشرية ، لا على الصورة التي يحاول إظهارهم بها من يمكرون بهذه الأمة ودينها وتاريخها ليقيموا حاجزًا بين هذه الأجيال والجيل الأول بتشويه صورته وتزييف سيرته للتوصل إلى طعن الدين بطعن حملته ، والنأي بعد ذلك بهذه الأجيال بعيدًا عنه إلى حيث يصبحون « إمَّعات » يسيرون في ذيل القافلة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، والمكرة في ذلك كله يتخذون من العبث بالتاريخ الإسلامي وتشويهه وسيلتهم للتوصل إلى ما يريدون ، وتأتي كتابات « فيليب حتّي » وأمثاله في مقدمة هذه الدراسات المبتسرة العابثة ■■

في كتابه « صانعو التاريخ العربي » خصص « حتّي » فصلًا للحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بدأه بقوله : (يقال لنا : إن حروب الردة كان سببها رفض القبائل في أنحاء الجزيرة العربية أن تدفع الزكاة بعد موت محمد - ﷺ - وهي فريضة من فرائض القرآن ، وأصر الخليفة أبو بكر على قتالهم إلى أن يذعنوا ويستسلموا .. الواقع أن هذه الحروب التي يسمونها حروب الردّة لم تكن حروبًا لمحاربة المرتدين ، أي : الذين قبلوا الإسلام ثم ارتدوا عنه إلى دينهم القديم ، بل كانت بالأحرى حروبًا لإدخال القبائل في الإسلام) (ص : ٣٧ - ٣٨) هكذا ، يطلق الكلمات على عواهنها دون أن يذكر دليلاً أو شبهة دليل لتعضيد الرأي الذي ذهب إليه ، وكأنه يراهن في ذلك على ثقة بعضنا بالمنهجية العلمية للمستشرقين وتلامذتهم !! وإلا فإن القرآن الكريم قرر صراحة دون لبس أو غموض ، وبكلمات لا تحتمل التأويل حرية الإنسان في اختيار العقيدة التي يريد ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥٦) ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف : ٢٩) .

سيف الله رضي الله عنه :

ويقول « حتّي » بعد ذلك في الصفحة الثامنة والثلاثين : (كان بطل هذه الحروب جنديًا من قريش ، اسمه : خالد بن الوليد ، الذي لمع اسمه في تاريخ هذه الفترة ، واكتسب شهرة واسعة ، وكان يلقب بـ « سيف الإسلام » وذلك بسبب قسوته في المعارك . وقسوته هذه أدت إلى وقوع صدام بينه وبين عمر بن الخطاب انتهى أمره بإذلال القائد العظيم في سهول سورية) .

ثم يعود إلى القول في الصفحة السابعة والأربعين : (بعد أن بلغ خالد - سيف الإسلام ، وبطل الفتوحات في سورية والعراق - علياء مجده ، أذله عمر والحق به الهوان ، كان عمر يضمر لخالد بعض السوء في عهد الخليفة أبي بكر ، وقد بلغ مسمعه أن خالداً يعيش عيشة البذخ والترف ، ويغدق على أعوانه والمعجبين به من العطايا الشيء الكثير ..) وبعد ذلك يذكر « حتّي » كتاب عمر رضي الله عنه الذي يبين فيه صراحة سبب عزله لخالد من القيادة ، وأنه لم يعزله عن سخطة ولا خيانة .. ويعلق عليه بقوله : (والواقع أن هذا الكتاب الذي كتبه - عمر - إلى الأمصار يفصح عما كان يضمر من حسد) (ص : ٤٨) .

وفي مقالته هذه جملة مغالطات ، منها : تسمية خالد بـ « سيف الإسلام » لقسوته :

روى البخاري في صحيحه (فضائل الصحابة : ٢٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال :

(إن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر

بقلم : اسماعيل الكيلاني

■ المنهج الانتقائي في التاريخ ابتدعه المستشرقون ، وسار على هديهم المستغربون لقلب حقائق التاريخ الإسلامي ، وتزييف وقائعه ؛ حيث تُجتزأ بعض هذه الحقائق وتقطع عن سياقها ، وتُساق الأحداث في غير مجراها ، الأمر الذي يؤدي إلى التفسير المذهبي للتاريخ بعيدًا عن أية منهجية أو علمية ■

فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم) وقال ابن حجر العسقلاني في الفتح : فإن المراد به خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ومن يومئذٍ تسمى : سيف الله .

كان ذلك في غزوة مؤتة ، ولم يكن قد مضى على إسلامه شهران ، والذي سماه بهذا الاسم - « سيف الله » وليس « سيف الإسلام » كما زعم « حتّي » - هو رسول الله ﷺ ولا ارتباط بين التسمية وقتال المرتدين .

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلًا ، فجعل الناس يمرون ، فيقول رسول الله ﷺ من هذا ؟ فأقول : فلان : حتى مرَّ خالد بن الوليد ، فقال : من هذا ؟ قلت : خالد بن الوليد : فقال : نِعْمَ عبد الله هذا سيفًا من سيوف الله » .

روى ابن حبان والحاكم من طريق الشعبي عن ابن أبي أوفى مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال : (لا تؤذوا خالداً ، فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار) وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام : (نعم أخو العشيرة ، وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين) وقال أبو عبيدة رضي الله عنه : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خالد سيف من سيوف الله : نعم فتى العشيرة » .

وبعد : فإننا لا ندري من أين أتى « حتّي » بهذه التسمية لخالد ؟ وأين وقع عليها ؟ وكان المنهجية العلمية التي يلتزمها وأمثاله تقتضي الغموض وإلقاء الكلام على عواهنه دون دليل !!

بين خالد وعمر رضي الله عنهما :

ومغالطة أخرى في قوله : (انتهى أمره بإذلال القائد العظيم في سهول سورية) وقوله : (يفصح عما كان يضمر من حسد) والمقصود بذلك كله الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فهو الذي أذل خالداً رضي الله عنه بزعمه - والسبب يكمن فيما كان يضمره من حسد !! والإذلال الذي يعنيه يكمن في الأمر الذي أصدره عمر بعزل خالد رضي الله عنهما ، فما هو وجه الحق في المسألة ؟

إن المتتبع لجملة الروايات التي يذكرها المؤرخون المسلمون (الطبري - ابن الأثير - ابن كثير - ابن عساكر ..) يمكنه أن يلاحظ أن عزل خالد رضي الله عنه مر بمرحلتين :

العزل الأول : كان في السنة الثالثة عشرة للهجرة ، بعد وفاة الصديق واستخلاف عمر رضي الله عنهما ، روى الطبري في تاريخه (٤/٦٨ وما بعدها) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : « أما والله لئن صيّر الله هذا الأمر إليّ لأعزلن المثنى بن حارثة عن العراق ، وخالد بن الوليد عن الشام حتى يعلما أن الله هو الذي نصر ، ليسا هما ...

ويؤكد هذا أيضاً ما رواه الطبري نفسه من أن عمر رضي الله عنه بعد أن عزل خالداً ، كتب إلى الأمصار ما خطب به الناس في المدينة المنورة : « إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض - بطريق - فتنة » ولما قدم عليه خالد رضي الله عنه ، قال عمر متمثلاً :

صنعتَ فلم يصنع كصنعك صانعٌ
وما يصنعِ الأقوام فالله صانعُ

وقد أيد هذا ما رواه البخاري في تاريخه من أن عمر كتب إلى الأمصار أنه لم يعزل خالداً عن سخطة أو خيانة ..

ويؤكد هذا أيضاً ما رواه ابن عساكر في تاريخه (١/٥١١) من أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي عبيدة رضي الله عنه عندما ولاه إمارة جند الشام بدل خالد رضي الله عنه يقول له : « وليكن فيمن تحتبس خالد بن الوليد ، فإنه لا غنى لك عنه » ولم يكن عمر رضي الله عنه يخفي رأيه بضرورة عزل خالد رضي الله عنه ، بل كان قد أشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعزله ، وأبى الصديق ذلك قائلًا : « لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين » وفي عهد استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما جاء قول أبي بكر لعمر : « وإن فتح الله على أمراء الشام ، فاردد أصحاب خالد إلى العراق : فإنهم ولاة أمره ... » وقول عمر تعقيباً على ذلك : « كان أبو بكر قد علم انه يسوؤني أن أؤمر خالداً على حرب العراق حين أمرني بصرف أصحابه وترك ذكره » إنها كلمة حق وصدق ينطقها رجلُ الحقِّ آثر عنده من الدنيا كلها ، فلما تولى الخلافة ، بر بقسمه قائلًا : « ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر لم أنفذه » .

أما العزل الثاني ، فكان في السنة السابعة عشرة للهجرة ، وكان عزلًا لخالد عن عمله تحت إمرة أبي عبيدة ، وسبب ذلك توغله وصاحبه عياض بن غُنْم رضي الله عنهما في أرض العدو ، فغنما أموالًا عظيمة ، وقدم عليه الأشعث بن قيس - زعيم كندة - الذي انتجعه طالبًا ، فأجازه عشرة آلاف درهم ، فأرسل الخليفة إلى أبي عبيدة بعزل خالد وتسييره إلى المدينة المنورة ، فرجع خالد إلى قنّسرين - مقر عمله - ثم إلى حمص فخطب أهلها وودّعهم ، ثم خرج إلى المدينة المنورة حتى قدم على الخليفة ، فعاتبه أجمل عتاب بقوله : « والله إنك في أمري غير مجمل يا عمر » وقبل عمر عتاب خالد ، بعد أن بين له أن إجازته للأشعث كانت من الأنفال والسُّهمان ، فقال عمر : « يا خالد ، والله إنك عليّ لكريم ، وإنك إلى لحبيب ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء » (الطبري : حوادث سنة ١٧) .

غيـاب المنهج
في التفسير المذهبي للتاريخ

المنهج الانتقائي :

روى ابن عساكر في تاريخه (١/ ٤٦٤) أنه لما جاءت الصديقَ أخبار جيوش فتح الشام قال : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » ثم كتب إليه كتابًا يأمره فيه بالتوجه إلى الشام ، وأن يستخلف المثنى على العراق « فإذا فتح الله على المسلمين الشام ، فارجع إلى عملك .. » ولما وصل الكتاب إلى خالد أظنَّ عمرَ ، وقال : « هذا عمله ، حسدني أن يكون فتحٌ على يدي » . فقال له القعقاع بن عمرو التميمي : « ارفع لسانك عن عمر ، والله ما كذب الصديق » فقال خالد : « صدقتني والله ، فقبح الله الغضب والظنون ، والله ياقعقاع ، لقد أغريتني بحسن الظن » فقال القعقاع : « الحمد لله الذي خلصك وأبقى فيك الخير ونفى عنك الشر » ..

لعل هذه الرواية هي التي استنتج منها « حتّي » ما ذهب إليه ، ولكن ، أليس من الأمانة العلمية بيان ذلك ، وإيراد الرواية كاملة ليعلم القارىء الحقيقة بنفسه ؟ أم أن المنهجية في البحث تقتضي اختصار المحاورة ، وعدم الإشارة إليها إلا بعبارة (يفصح عما كان يضمر من حسد) ؟!

وابن عساكر نفسه يورد الرواية التالية :

« دخل هشام البختري على عمر في ناس من بني مخزوم ، وكان شاعراً ، فقال له عمر : أنشدني ما قلت في خالد ، فلما أنشده ، قال له عمر : قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله ، إن كان ليحب أن يذل الشرك وأهله ، وإن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله » .

ويروي صاحب الاستيعاب : (١/ ٤٠٩) أن أبا الدرداء رضي الله عنه دخل على خالد رضي الله عنه يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقال خالد : يا أبا الدرداء ، لئن مات عمر لترين أموراً تنكرها . فقال أبو الدرداء : وأنا والله أرى ذلك . فقال خالد : قد وجدت عليه في نفسي أموراً لما تدبرتها في مرضي هذا ، وحضرني من الله حاضر ، عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل ، كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث إليّ يقاسمني مالي ، فرأيته فعل ذلك بغيري من أهل السابقة ، ومن شهد بدراً ، وكان يغلظ عليَّ وكانت غلظته على غيري نحواً من غلظته عليّ ؛ وكنت أدل عليه بقرابته فرأيته لا يبالي قريباً ولا لوم لائم غير الله ، فذلك الذي أذهب ما كنت أجد عليه ..

ولم يرض خالد رضي الله عنه إلا أن يختم حياته بتصرف عملي يدل على مدى ما يكن لعمر رضي الله عنه من محبة ويوليه من ثقة ، إذ لما حضرته الوفاة أوصى إلى عمر ، فتولى وصيته ، قال صاحب (الإصابة : ١/ ٤١٥) : « ... وقد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب ... » .

وعندما جاء عمر الخبر بوفاة خالد رضي الله عنهما ، قال : « قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق .. رحم الله أبا سليمان ، لقد مات فقيداً وعاش حميداً » ، ولما بلغه أن نسوة من نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبكين عليه ، قال : « وما عليهن أن يبكين أبا سليمان » (الاستيعاب : ٤٠٩ ، الإصابة : ٤١٥) .

السقوط في مناهج المستشرقين :

ومن الذين ساروا على خطى « حتّي » صاحب كتاب « سيف الله خالد بن الوليد » من منشورات مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ حيث فصل ما أجمله « حتّي » في هذه الأسطر القليلة ، فقد أورد بعد المقدمة ، ما زعم أنه السبب في التنافس والحسد الكامن بين كل من عمر وخالد رضي الله عنهما ، ويتلخص برواية أسطورية تزعم أنهما تشاجرا في طفولتهما ، فصرع خالد عمر وكسر ساقه ... وأن آثار هذا التنافس القديم بقيت عالقة في عقليهما الباطنين .. وأنهما كانا فاقدي الصبر والتروي ... دون ذكر للمصدر الذي أخذ عنه ، أو سند لهذه الأسطورة .. وهو الذي قال في المقدمة : (إن جزءًا كبيراً من المادة الموجودة في هذا الكتاب غير معروف لعامة الناس ... لكن كل حادثة ، وكل واقعة هي صحيحة تاريخيًا) !! (ص : ١ ـ ١٤) ويقول : (وكان أبو بكر يعلم أن هذين الرجلين العظيمين لا يكنان المحبة لبعضهما) وأن الذي دفع خالداً للدخول في الإسلام الرغبة في تحقيق النصر والمجد (ص : ٩٩) ، بينما يورد ابن هشام في سيرته عن إسلام خالد ، أنه عندما لقي عمرو بن العاص ، وسأله : « أين يا أبا سليمان ؟ » قال : « والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؟ قال عمرو : والله ما جئت إلا لأسلم » ... وغير ذلك كثير ..

وصاحب كتاب « خالد بن الوليد » ـ من منشورات دار المسيرة ـ الذي زاد على ذلك قوله : (ودخل خالد على عمر ، وعليه قميص حرير ، فقال له عمر : ما هذا يا خالد ؟ قال خالد : وما هو البأس في هذا يا أمير المؤمنين ؟ ألم يلبسه عبد الرحمن بن عوف ؟ قال عمر : وهل أنت كعبد الرحمن بن عوف ؟ ويعلق على هذه الرواية التي ذكرها دون سند أو دليل أو مصدر استقاها منه ، قائلاً : « هذه الرواية إن صحت تشير إلى موقف خاص من عمر إزاءه ، إذ ما هو المبرر ليلبس عبد الرحمن بن عوف حريراً ويحرم ذلك على خالد ؟ ثم إن سؤال عمر : وهل أنت كعبد الرحمن بن عوف ؟ سؤال مغيظ ، وعمر يعرف أن واحداً في عصر عمر ـ باستثناء الرسول الأعظم ﷺ ـ لم يصنع للإسلام ما صنع خالد ، فلماذا تجاوز ، وهو العادل المكين ؟! إنها النفوس ، وإنها المواقف ، وسبحان العليم بما خفي واستتر) (ص : ٤٣) يأتي بالرواية ، ولا يكلف نفسه مؤنة تحقيقها ، ثم يرتب عليها ما رتب من اتهام لعمر رضي الله عنه حتى في نيته التي لا يعلمها إلا الله تعالى ..

وقضية لبس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه للحرير ، ذكرها ابن سعد في طبقاته (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) قال : أخبرنا وكيع بن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف كان يلبس الحرير من شري كان به ـ حكة ـ .

وقال : أخبرنا القاسم بن مالك المزني ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : كان عبد الرحمن بن عوف رجلًا شريًا ، فاستأذن رسول الله ﷺ في قميص حرير ، فأذن له .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ رخص لعبد الرحمن بن عوف في قميص من حرير في سفر من حكة كان يجدها بجلده .

وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه ، قال : شكا عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله ﷺ كثرة القمل ، وقال : يارسول الله ، أتأذن لي أن ألبس قميصاً من حرير ؟

قال : فأذن له .. فلما توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وقام عمر ، أقبل عبد الرحمن بابنه أبي سلِمة وعليه قميص من حرير ، فقال عمر : ما هذا ؟ ثم أدخل يده إلى جيب القميص ، فشقه إلى سفله ، فقال له عبد الرحمن : ما علمت أن رسول الله ﷺ أحله لي ؟ فقال : إنما أحله لأنك شكوت إليه القمل ، فأما لغيرك فلا ..

هذه جملة الروايات في هذه الحادثة لا نجد فيها مراعاة أو ممالأة لعبد الرحمن بن عوف ، فالرسول ﷺ هو الذي رخص له بلبس الحرير لما كان يعانيه من حكة بجلده .. وعمر رضي الله عنه أنكر على أبي سلمة بن عبد الرحمن لبسه للحرير ، وشق القميص الذي كان يلبسه ، فهل يعقل أن يقول لخالد : وهل أنت كعبد الرحمن بن عوف ؟ وهل يعقل أن يميل خالد رضي الله عنه للرخاوة ، ويلبس الحرير ، وهو القائد العسكري ، المشهود له بالانضباط والصبر وشدة التحمل ؟! ألا يدل ذلك على أن الرواية منحولة زائفة ؟! ثم أين الدليل على أن خالد بن الوليد رضي الله عنه صنع للإسلام ما لم يصنعه أحد إلا رسول الله ﷺ ؟ لا أحد ينكر الدور الذي قام به رضي الله عنه منذ أن دخل الإسلام قبل غزوة مؤتة بشهرين وحتى وفاته ، والجهد الذي بذله في سبيل نصرة دين الله عز وجل ، لكن الذي لا يستساغ مثل هذا الحكم الجائر الذي يستخدم للانتقاص من بقية الصحابة رضوان الله عليهم ، وفي مقدمتهم : الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم .. فهذا رسول الله ﷺ يقول لخالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقد اشتكاه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « يا خالد لِمَ تؤذي رجلاً من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله ؟ قال : يا رسول الله ، إنهم يقعون بي فأرد عليهم . فقال ﷺ « لا تؤذوا خالداً ، فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار » الحديث أخرجه ابن عبد البر في (الاستيعاب : ١/٤٠٨) عن الشعبي عن عبد الله بن أبي أوفى .

وصاحب كتاب « خالد بن الوليد » ـ من منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ـ حيث يزداد الافتراء ظلمة عندما يقول : (ومما يأخذه بعض المؤرخين على خالد ، أنه كان مولعاً بشرب الخمر ، ولكنه كان لا يشربها وهو في حومة الوغىٰ ، بل في أوقات راحته وساعات متعته)(!!) (ص : ٧٤) ولا أدري من هم هؤلاء المؤرخون ؟ وأين ذكروا ذلك ؟ ومتى ؟ ولقد عدت إلى كثير من الكتب التي أرخت وترجمت لأصحاب رسول الله ﷺ ، من ذلك مثلاً كتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر ، و« الإصابة » لابن حجر ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي ، فضلاً عن « تاريخ الرسل والأمم والملوك » للطبري ، و« البداية والنهاية » لابن كثير ، و« الكامل في التاريخ » لابن الأثير ... فلم أجد أثراً لهذا ، وكل الذي وجدته ما رواه ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة ، قال : « أتىٰ خالد بن الوليد رجل وكان معه زق خمر ، فقال خالد : اللهم اجعله عسلاً ، فصار عسلاً .. » وفي رواية له من هذا الوجه : « مر رجل بخالد ومعه زق خمر ، فقال : ما هذا ؟ قال الرجل : خل . قال : جعله الله خلًّا . فنظروا فإذا هو خلّ وقد كان خمراً » وتذكر هذه الروايات وأمثالها ـ مثل : « لما قدم خالد رضي الله عنه الحيرة أُتي بسمٍّ فوضعه في راحته ، ثم سمىٰ ـ ذكر اسم الله ـ وشربه ، فلم يضره » كما رواه أبو يعلىٰ ; وابن سعد (الإصابة : ١/ ٤١٤) ـ لبيان كراماته رضي الله عنه ..

وبعد : فهذا هو المنهج العلمي الذي ابتدعه « حتّي » ومن سار على خطاه ، يقلب الحقائق ، ويزيف الوقائع ، ويحمل الكلمات ما لا تحتمل ، وتساق الأحداث فيه في غير مجراها لتخدم أغراضهم في العيب على جيل القدوة لإضعاف صلة الأجيال المسلمة به تمهيداً لقطعها ، وما ينتج عن ذلك من هدم لدين الله عز وجل ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ فهل نمكنهم من ذلك ؟!

الهوامش

(١) هو أبو سليمان ، خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، القرشي ، سيف الله . أمه : لبابة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين ، أسلم بعد الحديبية ، وكانت هجرته مع عمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة ، رضي الله عنهم أجمعين ، ولما رآهم رسول الله ﷺ قال : « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » . لما أراد اللحاق برسول الله ﷺ التقى بعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ، وكان لا يزال على شركه ، فتحاورا ، وكان مما قاله لعكرمة : لم أَصْب ولكن أسلمت . فقال عكرمة : والله إن كان أحق قريش ألا يتكلم بهذا الكلام إلا أنت . فقال خالد : ولم ؟ قال عكرمة : لأن محمداً ـ ﷺ ـ وضع شرف أبيك ، وقتل عمك وابن عمك ببدر ، فوالله ما كنت لأسلم ، ولا أتكلم بكلامك يا خالد ، أما رأيت قريشاً يريدون قتاله ؟ فقال خالد : هذا أمر الجاهلية وحميتها ، ولكني والله أسلمت حين تبين لي الحق ...

شهد غزوة مؤتة ، وغزوة خيبر ، وفتح مكة ، وحنيناً ... وروى عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم على حديث منها ، وروىٰ عنه من الصحابة : ابن عباس ، وجابر ، والمقدام بن معد يكرب ، وأبو أمامة رضي الله عنهم ... ومن التابعين : قيس بن أبي حازم ، وأبو وائل وغيرهما .

كان من المشهورين بالشجاعة والشرف والرياسة ، ثبت في صحيح البخاري عنه ، قال : لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية ، ولاه رسول الله ﷺ بعد إسلامه أعنة الخيل ، ليكون في مقدمتها ، وبعثه إلى العزّىٰ فهدمها ، وأرسله إلى أكيدر صاحب « دومة » فأسره وأحضره عند رسول الله ﷺ إلى بني الحرث بن كعب ، فقدم معه رجال منهم ، فأسلموا ، ورجعوا إلى قومهم .. أمره أبو بكر رضي الله عنه على قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة ، وكان له في قتالهم الأثر العظيم ، قضى على فتنة مسيلمة ، وقتل مالك بن نويرة ، الذي قال صاحب (شذرات الذهب : ١/٥١) فيه : (... وكان مالك من دهاة العرب ، عرض على خالد الصلاة دون الزكاة ، فقال خالد : لا تقبل واحدة دون الأخرى ؛ فقال مالك : كذلك كان يقول صاحبك ـ يعني رسول الله ﷺ ـ قال خالد : وما تراه لك صاحباً ؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك ، ثم تجادلا في الكلام ، فقال خالد : إني قاتلك . قال : أو كذلك أمر صاحبك ؟ قال خالد : وهذه ثانية بعد تلك ، والله لأقتلنك ...) وله الآثار العظيمة في قتال الروم بالشام ، والفرس بالعراق ، وافتتح دمشق . لما حضرته الوفاة سنة إحدى وعشرين للهجرة ـ بمدينة حمص ، وقبره فيها ـ قال : لقد شهدت مائة زحف أو نحوها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، وهأنا أموت على فراشي ، فلا نامت أعين الجبناء ، ومالي من عملي أرجى بعد لا إله إلا الله ، من ليلة بتها وأنا متترس بها ، والسماء تمطر إلى صبح حتى نغير على الكفار . ثم قال : إذا أنا متّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله وحزن عليه عمر رضي الله عنه والمسلمون حزناً شديداً رضي الله عنه وأرضاه (تهذيب الأسماء : ١/١٧٣ ، الإصابة : ١/٤١٣ ، الاستيعاب : ١/٤٠٦) .